﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦﴾ [الزّلزلة: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تـكـرارُ الـظَّـرف لزيادة التَّشوُّقِ والتَّلهُّف

لمّا أخبَرَ تعالى بإخراجِ الأثقالِ الَّتي مِنها الأمواتُ؛ اشْتَدَّ التَّشوُّفُ إلى هيئةِ ذلك الإخراجِ وما يتأثّرُ عنهُ، فقالَ مُكرِّرًا ذكرَ (اليومِ) زيادةً في التَّهويل: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَصۡدُرُ﴾: (صدر) أصلانِ صَحيحانِ؛ أحدُهُما: يدلُّ على خلافِ (الوِرْد)، والآخَرُ: صدرُ الإنسانِ وغيرِهِ، فالأوّلُ قولُهُم: صدرَ عنِ الماءِ وصدَرَ عنِ البلادِ إذا كانَ وردَها ثمّ شخَصَ عنها[2]، وصدرُ كلِّ شيءٍ: أوّلُهُ، وطريقٌ صادِرٌ؛ أي: يصدُرُ بأهلِهِ عنِ الماء[3]، والصّدَرُ: الانصرافُ عن الوِرْد وعن كلِّ أمر، يقالُ: صدَروا وأصْدَرْناهُم، ويقالُ للّذي يَبتدئُ أمرًا ثمَّ لا يُتمُّهُ: فلانٌ يوردُ ولا يُصدِرُ، فإذا أتمَّهُ قيل: أورَدَ وأصدَرَ[4]. وصَدَر القومُ صُدورًا - من بابِ (قعَدَ) - وأصدرتُهُ، وأصلُهُ: الانصرافُ[5]؛ فهو ما يُقابِلُ الوُرود، فالنّظَرُ في الوُرود إلى جهةِ الصَّيرورة إلى مُحيط، كما أنّ الصُّدورَ ناظرٌ إلى جهةِ صَيرورةٍ إلى خارجِ مُحيطٍ مُعَيّنٍ[6]، والمرادُ بهِ في الآية: الخُروجُ منَ القُبور للحِسابِ والجزاءِ.

2) ﴿أَشۡتَاتٗا﴾: الشّينُ والتّاءُ أصلٌ يدلُّ على تفرُّقٍ وتزيُّلٍ، من

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 207.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صدر).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (صدر).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (صدر).
(5) الفيّوميّ، المصباح المنير: (صدر).
(6) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 6/ 210 - 215.

ذلك: تشتيتُ الشّيءِ المُتفرّق[1]، قالَ الأصمعيّ: شتّ بقلبي كذا وكذا؛ أي: فرَّقه، ويقالُ: جاءَ القومُ أشتاتًا[2]، وشتّ شَتًّا من بابِ (ضرَبَ): إذا تفرّقَ، والاسمُ: الشَّتات، وشيءٌ شتيتٌ مُتفرِّقٌ، وقومٌ شَتَّى - على زِنَةِ: فعْلى - : مُتفرّقونَ[3]، فهو تفرُّقٌ مخصوصٌ، وهو تفرّقُ الأعضاءِ والأجزاءِ كلٌّ من الآخَر، في مادّيٍّ أوْ معنويٍّ. وقوله: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: مُتفرّقينَ لمُشاهَدةِ الأعمال[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يومَ أن يقعَ ما ذُكِرَ؛ يخرُجُ النّاسُ مِن قُبورهم، ويَنصرفونَ إلى موقفِ الحِساب مُتفرِّقينَ بحسَبِ أعمالِهم: بيضَ الوُجوهِ آمنينَ، أو مُقيَّدينَ بالسَّلاسلِ فزِعينَ؛ ليُبصِروا أجزيةَ أعمالِهم خيرًا كانتْ أوْ شرًا، أوْ ليعرفوا أعمالَهُم، ويَقِفوا عليها تفصيلًا عندَ الحسابِ[5].

لا يَستوي العامِلون ولا يتشابَهُ المَبعوثون

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ تكرارِ لفظِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

كرَّرَ النَّظمُ الكريمُ الظَّرفَ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾؛ للدِّلالةِ على أنَّه مَناطُ الاهتمامِ لذكرِ الظَّرفين الزَّمانيّين السّابقَين؛ إذ زلزلةُ الأرض وتحديثُها بالموحى إليها مِهادٌ لصُدورِ النّاس من قُبورِهم للبعْثِ والحِساب؛ فكان التَّمهيدُ بوقوعِ تلك الأحداثِ الجِسامِ موصِلًا للمَقصودِ الأهَمِّ والأعظم من الإخبارِ بيومِ الصُّدورِ من القُبور لأجلِ الحِسابِ والجَزاء.

تكرارُ الظّرف طريقٌ لتحديدِ المَقصدِ الأشرَف

دلالةُ المَوقِعِ الإعرابيِّ للظَّرف (يومَ):

أوْقَعَ البيانُ القرآنيُّ الظَّرفَ (يوم) في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ

التّقريرُ بالبَدَل، لإثباتِ البَعثِ لمَنْ وقَعَ في الزّلَل

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شتّ).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (شتّ).
(3) الفيّوميّ، المصباح المنير: (شت).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 6/ 14 - 15.
(5) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1989.

﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾ مَوقِعَ البدلِ ممّا قبله[1]؛ للدِّلالة على التَّقريرِ للمتبوعِ والتَّوكيدِ له؛ وليكونَ بدلُ الكلِّ من الكلِّ مُشيرًا إلى أنّه مصَبُّ الاهتمام ومحَطُّ الفائدة؛ لأنَّ الغرضَ من الزَّلزلة والسُّؤال والجَواب، إثباتُ البَعث والنُّشور والحِساب.

دلالةُ جوابِ الشَّرطِ الثّاني:

إثـبـاتُ صـحَّـةِ النّشر بتحديثِ الأرض بالخَبر

اشتمَلَ الشّرطُ المُنبعِثُ من (إذا) الظَّرفيَّة في قولِه تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ على جوابين؛ أحدُهما: في المُبدَلِ منه، وهو قوله: ﴿تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾، والثّاني: في البدَل، وهو قولُهُ تعالى هنا: ﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾؛ ليكونَ كلٌّ منهُما جَوابًا لوقوعِ الزّلزلةِ وإنْ كان مناطُ الجوابِ صدورَ النّاس من قُبورِهم أشتاتًا، وفائدةُ الجَوابِ الأوّلِ إثباتُ صحَّةِ الجوابِ الثّاني؛ فإنْ كانتِ الأرضُ الجامدةُ أوحيَ لها وتحدّثَتْ بالأخبار فإنَّ صُدورَ النّاس منَ القبورِ أمرٌ مُمكنٌ لا مَحالةَ؛ ليُروا أعمالَهُم والجَزاءَ علَيها. قال ابنُ عاشور: "وَهَذا الجَوابُ هوَ المَقصودُ مِنَ الكَلام؛ لِأنَّ الكَلامَ مَسوقٌ لِإثباتِ الحَشْرِ والتَّذكيرِ به، والتَّحذيرِ مِنْ أهْوالِه؛ فإنَّهُ عِنْدَ حُصولِه يَعْلَمُ النّاسُ أنَّ الزِّلْزالَ كانَ إنْذارًا بهَذا الحَشْرِ"[2].

نُكتةُ إضافةِ الظَّرف إلى (إذ) الظَّرفيَّة:

الإيجازُ في الكلام مِـن مَـحـاسِـن الـعَـرض لِـذَوي الأفهام

أُضيفَ لفظُ الظَّرف (يوم) إلى الظَّرف الماضي المنوّنِ (إذ) في قولِه تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾؛ للدِّلالة على تخصيصِ ذلك اليوم؛ إذ الإضافةُ من إضافةِ العامِّ إلى الخاصِّ، وأفادَ الظّرفُ (إذ) الدِّلالةَ الزَّمنيَّةَ الماضية؛ ليُفيدَ تحقُّقَ وقوعِ القيامة ووقوعِ الخروجِ منَ القبور. ودلَّ التنوينُ في (إذ) الظَّرفيَّة على أنَّها عِوَضٌ عن جملةٍ أُضيفَ إليها، والتَّقديرُ: (يومَ إذْ يقَعُ ما ذُكِر يصدُرُ النّاسُ)[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 493.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 493.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 236.

سرُّ تقديمِ الظّرفِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

عـنـدَ الـوَقـتِ المَعلـوم يُـدرِكُ الإنسانُ السَّببَ المَجهول

قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ الظَّرفَ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ على مُتعلَّقِه؛ للاهتمامِ بهِ[1]؛ إذ الغرَضُ تحديدُ وقتِ الحصول؛ فيعلَمُ الإنسانُ سببَ الزَّلزلة وهو وقوعُ الحَشْر وثبوتُ البَعث. كما أفادَ التَّقديمُ الحصرَ والاختصاص أيضًا؛ إذْ صدورُ النّاس أشتاتًا مُنحصِرٌ بذلك التَّوقيتِ لا يَتجاوَزُهُ إلى غَيره.

سرّ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿يَصْدُرُ﴾ دلالةً وصيغةً:

الإســـــراعُ في الرُّجوعِ كإسراعِ الأرضِ فـــــي الخُضوع

عُبِّرَ بفعلِ (الصُّدور) مُضارِعًا في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾؛ للدِّلالة على تحقُّقِ الصُّدورِ منهُم على سبيلِ الاستمرارِ التَّجدُّديِّ؛ إذ يَقومونَ من قُبورِهم على وجهٍ مُستمرٍّ دائبِ الحَرَكة، لا يَسَعُهم إلّا تلبيةُ نداءِ ربِّهم كما لا يسَعُ الأرضَ بعدَ أنْ أوحيَ لها إلّا التَّزلزُلُ وإخراجُ الأثقال، فالحَشْرُ مُثبَتٌ بالدَّليل والبرهان. والسِّرُّ في إثباتِهِ يكمُنُ في الإيحاءِ والأمرِ التَّكوينيِّ، واستجابةُ الأرض مثالٌ على صحَّةِ الوُقوع. كما يُفيد التَّعبيرُ بالفعل ﴿يَصْدُرُ﴾ الخروجَ من محلِّ الاجتماع: "يُقالُ: صَدَرَ عَنِ المَكانِ؛ إذا تَرَكَهُ وخَرَجَ مِنْهُ صُدورًا وصَدَرًا بالتَّحريك، ومِنْهُ: الصَّدْرُ عَنِ الماءِ بَعْدَ الوِرْدِ، فأُطْلِقَ هُنا فِعْلُ ﴿يَصْدُرُ﴾ عَلى خُروجِ النّاسِ إلى الحَشْرِ جَماعاتٍ، أوِ انْصِرافِهِمْ مِنَ المَحْشَرِ إلى مآويهم مِنَ الجَنَّةِ أوِ النّارِ، تَشْبيهًا بانْصِرافِ النّاسِ عَنِ الماءِ بَعْدَ الوِرْدِ"[2]، ففي الفعلِ إشارةٌ إلى أنَّ وضعَ النّاسِ في القُبورِ أوْ حضورَهم في عَرَصةِ القيامة مؤقَّتٌ، وأنَّه مجرّدُ مكانٍ للاجتماعِ ثمَّ يؤولُ إلى خروجٍ منه، فيحصُلُ الرَّدُّ على مَن يعتقدُ أنَّ الموتَ دخولٌ في العدَمِ المَحْضِ وأنَّه لا حِسابَ ولا نَشْرَ ولا ثَوابَ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 493.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 493.

دلالةُ الاستعارةِ التَّبعيَّة أوِ التَّمثيليَّة في ﴿يَصْدُرُ﴾:

الوارِدُ إلى الماء كالوارِدِ إلى الجَزاء

استعارَ النَّظمُ الكريمُ الصُّدورَ الدّالَّ على انصرافِ النّاسِ عنِ الماء بعدَ الوِرْدِ للخُروج إلى الحَشْر جماعاتٍ متفرّقةً في قولِه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾؛ إذ شبَّهَ خروجَ النّاس إلى المَحشَر بانصرافِ النّاسِ عنِ الماء، ثمَّ حذفَ المشبَّهَ وأبقى المشبَّهَ به على سبيلِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّة، ولا يَبعُدُ أنْ يكونَ من الاستعارةِ التَّمثيليَّة بتشبيهِ الهيئةِ بالهيئَة. والغرضُ من الاستعارةِ أنَّ الجائيَ إلى الماءِ والواردَ عليه يريدُ السُّقيا ثمَّ يصدُرُ عنه وقد ملأ القِربةَ بالماء، وكذلك الجائي إلى محلِّ الحشْرِ ليرى أعمالَهُ فيَعرفَها ويُحيطَ بها.

دلالةُ الكِناية في الفعلِ ﴿يَصْدُرُ﴾:

السُّرعةُ وعدمُ الضَّلال دليلُ الإيحاءِ بالرُّجوعِ إلى نَتيجةِ المآل

كنَّى النَّظمُ القرآنيُّ بالفعل ﴿يَصْدُرُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ عن السُّرعةِ في عمليَّةِ الحَشْرِ والنّشْر[1]، والقصديَّةِ في الرُّجوع إلى المحلِّ الَّذي يُنادَوْنَ منه؛ إذ يلزمُ من وُرودِ الماء ثمَّ الصّدَرِ عنهُ السُّرعةُ في الحَركة مع معرفةِ الموضع الَّذي يصدُرونَ إليه، قال البقاعيُّ: "﴿يَصْدُرُ﴾ أي: يَرجِعُ رُجوعًا هو في غايةِ السُّرعةِ والاهتداءِ إلى الموضِعِ الَّذي يُنادَوْنَ منه لا يغلَطُ أحدٌ منهم فيهِ ولا يَضِلُّ عنهُ"[2].

دلالةُ تَعريفِ لفظِ ﴿ٱلنَّاسُ﴾:

الصَّيحةُ الواحِدةُ كافيةٌ لحَشْرِ النّاسِ كنَفْسٍ واحِدة

عُرِّفَ لفظُ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ بـ (أل) في قولِه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾؛ للدِّلالة على العُموم والاستغراقِ الكلّيِّ الصّادقِ بجَميعِ أفرادِ النّاس. وفيه تصويرٌ عظيمٌ لهيبةِ ذلك الأمرِ التَّكوينيِّ بإعادةِ جميعِ النّاس، وأنه أمرٌ لا يمكِنُ استبعادُ حُصوله؛ إذْ مجرّدُ الإيحاءِ كافٍ في تحقُّقه، فبعدَ أنْ أثبتَ وقوعَهُ؛ أثبتَ تحقُّقَه للكلِّ.

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 395.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 207.

نكتةُ المُغايرةِ بينَ الإنسانِ والنّاس:

المُـشـاهِـدونَ للقيامة، بعضٌ من الصّادرينَ لدارِ الإقامَة

عبّرَ النَّظمُ الكريمُ بلفظِ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾ في حينِ عبّرَ بـ ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ قبلُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾. والسِّرُّ في التَّغايُرِ بينَ المَوْضِعَينِ أنَّ الإنسانَ وإنْ أُريدَ به العمومُ إلّا أنَّه صادِقٌ بالحاضرِ في يومِ الزِّلزالِ العَنيفِ المُشاهِدِ لخروجِ الأثقالِ، وأمّا الصّادرُ من القَبْرِ إلى مكانِ الحَشْرِ أوْ من مكانِ الحَشْرِ إلى المَأوى والمستقرِّ النّهائيِّ؛ فإنَّه صادقٌ بالجميعِ دونَ استثناءٍ.

نُكتَةُ التَّعبيرِ بالحالِ ﴿أَشۡتَاتٗا﴾:

لا يَتساوَى المَحشورون؛ فمِنهُم المُهانون ومِنهُم المُكرَمونَ

أوْقَعَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ موقِعَ الحاليَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾؛ لبيانِ هيئةِ الفاعلين[1] عندَ الخُروجِ من القبورِ أوْ عندَ التَّوجُّهِ لنيلِ الجزاءِ في دارِ المَقامِ؛ قال ابنُ عاشور: "والمُرادُ: يَصْدُرونَ مُتَفرِّقينَ جَماعاتٍ؛ كُلٌّ إلى جِهَةٍ بحَسَبِ أعْمالِهِمْ وما عُيِّنَ لَهُمْ مِنْ مَنازِلِهِمْ، وأُشيرَ إلى أنَّ تَفَرُّقَهُمْ عَلى حَسَبِ تَناسُبِ كُلِّ جَماعَةٍ في أعْمالِها مِنْ مَراتِبِ الخَيْرِ ومَنازِلِ الشَّرِّ بقَوْلِهِ: ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾؛ أيْ: يَصْدُرونَ لِأجْلِ تَلَقّي جَزاءِ الأعْمالِ الَّتي عَمِلوها في الحَياةِ الدُّنْيا؛ فيُقالُ لِكُلِّ جَماعَةٍ: انْظُروا أعْمالَكُمْ، أوِ انْظُروا مَآلَكُمْ"[2]؛ فهم يَصْدُرونَ إمّا جماعاتٍ تتفرّقُ تفرُّقًا حسيًّا في الوجهة بحسبِ الأعمالِ أوْ بحسَبِ الجزاءِ، أوْ مُتفرِّقينَ تفرُّقًا مَعنويًّا في مَراتبها وكَمالاتها، والغرضُ من التَّقييدِ بالحاليَّةِ التَّمهيدُ للوَعْظِ والإبلاغِ بما سَيَأتي بعدَه من عدمِ تَساوي مَن يعملُ الخيرَ بمَن يعمَلُ الشرَّ؛ إذْ كلٌّ سيَرى نتيجةَ أعمالِهِ الَّتي قدَّمَها، قال الهرريُّ: "﴿أَشۡتَاتٗا﴾ حالٌ من ﴿ٱلنَّاسُ﴾ جمعُ: شَتٍّ - بالفتح - ؛ أي: مُتفرِّقٌ؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 22/ 207.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 30/ 493.

أي: مُتفرِّقينَ في النِّظام"[1]، ونلمحُ في دلالةِ ﴿أَشْتَاتًا﴾ التَّفرُّقَ الكثيرَ بينَ تلك الجَماعاتِ الصّادرة؛ لأنَّ التَّشتُّتَ يدلُّ على التَّفرُّق المتكثِّر، ممّا يُقوّي أنَّ الصُّدورَ ليسَ من القبورِ إلى مكانِ المَحشَر، بل من المَحشَر إلى المنازِلِ والدَّرَجات أوِ الدّرَكات، فيكونُ المَرئيُّ حينئذٍ جزاءَ الأعمالِ في قولِه: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾.

مَعنى (اللّام) في ﴿لِّيُرَوْاْ﴾:

حِكمةُ النَّشْر رُؤيةُ العمَلِ والأثَر

عبّرَ النَّظم الكريمُ بـ (اللّام) الجارَّةِ للمصدَرِ المُؤوَّل في قولِه تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾؛ للدِّلالةِ على التَّعليلِ لصُدورِ النّاسِ ورُجوعِهم من القُبور، أوْ رُجوعِهم من عَرَصاتِ الحِساب إلى مَأواهُم الأخير. والغرضُ من التَّعليلِ وترتيبِ الجَزاء على الصُّدور لَفْتُ الانتباه إلى الحِكمة من الحَشْر والنَّشر؛ ليستعدَّ الإنسانُ لآخِرتِه ويتأهَّبَ لرَسْمِ حالِ نِهايتِه.

سرُّ التّعبير بالفعلِ (يُروا) دِلالةً وصيغةً:

البناءُ للمفعولِ صادِرٌ بأسلوبِ القادرينَ على إراءةِ المَعمول

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بفعلِ (الإراءة) مُضارِعًا مَبنيًّا للمَفعولِ مَزيدًا بالهَمزة في قولِه تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾؛ للدِّلالة على أنَّ تلك الإراءةَ واقِعةٌ على سبيلِ التَّجدُّدِ الاستمراريِّ؛ فصُدورهم المُستمرُّ تُرافِقُه رؤيةٌ مُتجدِّدةٌ للأعمال. واختيرَت صيغةُ المبنيِّ للمفعول؛ للدِّلالة على أنَّ المهمَّ لدَى المُخاطَبين هي رؤيةُ تلكَ الأعمالِ دونَ التَّصريحِ بمَن يُريهم، قال ابنُ عاشور: "وَبُنِيَ فِعْلُ ﴿لِّيُرَوْاْ﴾ إلى النّائِبِ؛ لِأنَّ المَقْصودَ رُؤْيَتُهُمْ أعْمالَهُمْ لا تَعْيينُ مَنْ يُريهِمْ إيّاها"[2]، كما تُفيدُ الصّيغةُ على أنَّ تلك الإراءةَ قد صدَرَتْ بأسلوبِ القادرينَ الَّذين يُخاطِبون بهذه الطَّريقة، قال البقاعيُّ: "فقالَ بانيًا للمفعولِ على طريقةِ كلامِ القادِرين: ﴿لِّيُرَوْاْ﴾ أي: يُري اللهُ المُحسِنَ منهُم

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 236.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 494.

والمُسيءَ بواسطةِ مَن يَشاءُ مِن جنودِهِ أوْ بغيرِ واسطةٍ حينَ يُكلِّمُ ﷻ كلَّ أحدٍ من غيرِ ترجُمانٍ ولا واسِطةٍ"[1]. بقي أنَّ الإراءةَ تحتمِلُ البصريَّةَ أوِ الإعلامَ بالأعمالِ وجَزائها.

دلالةُ (الإراءةِ) بينَ الحَقيقةِ والمَجاز الاستعاريِّ:

تشبيهُ الإعلامِ بالمَرئيّ دالٌّ على شدَّةِ الحُصولِ الجَليّ

عبّرَ النَّظمُ الكريم بفعلِ (الإراءةِ) في قولِهِ تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ للدِّلالة على الحقيقةِ بأنْ تكونَ الإراءةُ بصريَّةً، ويلزمُ حينئذٍ تعلُّقُها بالأعمالِ من حيثُ الجزاءُ أوْ يرادُ بالعمَل المعمولُ بأنْ يتجسَّم أوْ يُصوّرَ فيُرى. أوْ للدّلالةِ على المجازِ بأنْ يُرادَ بالرُّؤيةِ الإعلامُ بالأعمال؛ قالَ ابنُ عاشور: "وَيَجوزُ أنْ تَكونَ (الرُّؤْيَةُ) مُسْتَعْمَلَةً في العِلْمِ بجَزاءِ الأعْمالِ؛ فإنَّ الأعْمالَ لا تُرى، ولَكِنْ يَظْهَرُ لأهْلِها جزاؤُها"[2]، وبذلك تتحقّقُ الاستعارةُ التَّصريحيّةُ التَّبعيّة؛ إذ شبّهَ الإعلامَ بالأعمال برُؤْيَتِها لغرَضِ المُبالغة؛ ثمَّ حذفَ المشبَّهَ وأبقى المشبَّهَ به على سبيل الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّة. والقرينةُ على ذلك أنَّ الأعمالَ جمعُ (عَمَل) مصدرًا لا تُرى بالبصَر، بل تُعلَمُ بالخبرِ عنها، إلّا أنْ تُصوَّرَ الأعمالُ الحسنَةُ أوِ السَّيِّئةُ بهيئةٍ فتتعلّقُ الرُّؤيةُ بها حينئذٍ.

حذفُ المُضاف بينَ التَّعيُّنِ وعدَمِهِ:

الفائدةُ مِن حَشْرِ الأجسادِ، معرفةُ جزاءِ العِباد

علَّقَ النَّظمُ الكريم فعلَ (الإراءَةِ) بالأعمالِ في قولِهِ تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ فإنْ كانتِ الرُّؤيةُ بصريَّةً فإنَّ (الأعمال) بالمعنى المصدريِّ لا تُرى، فلا بدَّ مِن تقديرِ مُضافٍ؛ بأنْ يُرادَ: (جزاءُ الأعمال) من أفرادِ النَّعيم وأفرادِ العذابِ المرئيَّة، قالَ ابنُ عاشور: "فالرُّؤْيَةُ مُسْتَعْمَلَةٌ في رُؤْيَةِ البَصَرِ، والمَرْئيُّ هوَ مَنازِلُ الجَزاءِ"[3]؛

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 208.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 494.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 494.

أي: "فيَعلَموا جزاءَها أوْ صادرينَ عن المَوقِفِ كلٌّ إلى دارِهِ؛ ليَرى جزاءَ عمَلِهِ"[1]؛ وأضافَ القونويُّ ما يُؤكِّدُ الحاجة إلى تقديرِ المُضاف بقولِهِ: "الأعمال لا تُرى، ولو تُرى لا فائدَةَ في رُؤْيَتِها، وإنَّما المُرادُ الجَزاءُ خَيرًا أوْ شرًّا"[2]، أوْ من تأويلِ الأعمالِ بالمَعمولاتِ المتجسِّدة أوِ الأعمالِ المَكتوبةِ في صَحائفِ الأعمالِ؛ فتتعلَّقُ بها الرُّؤيةُ حينئذٍ؛ لكونِها نقوشًا مَكتوبةً، قالَ الهرريُّ: "اللّهُم إلّا أنْ يُجعَلَ لها صوَرٌ نورانيَّةٌ أوْ ظُلمانيَّةٌ، أوْ يتعلَّقُ الرّؤيةُ بكَتْبِها فحينئذٍ لا حاجةَ إلى تقديرِ مُضاف"[3]، وإنْ كانتِ (الإراءةُ) بمعنى الإعلام؛ فإنَّ الأعمالَ تُعلَمُ ولا تُرى، سواءٌ أكانتْ جزاءً أم عَمَلًا، ولا حاجةَ أيضًا لتقديرِ المُضافِ المَحذوف.

دلالةُ جَمْعِ (الأعمالِ) وتَعريفِهِ بالإضافَة:

لا ظُـلْـمَ في الـحِـسـاب ولا تبديلَ للكِتاب

عبّرَ النَّظمُ الكريمُ بلفظِ (الأعمال) مَجموعًا مُضافًا إلى ضميرِ النّاس في قولِهِ تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ للدِّلالة على العُموم الاستغراقيِّ؛ إذْ يرى كلُّ واحدٍ من النّاس عملَهُ، والأعْمالُ شاملةٌ للتُّروك، فلا يُظلَمُ أحدٌ شيئًا، ولا يُجازى إلّا بما عَمِلَهُ، فيكونُ من قبيل التَّوزيعِ للعامِّ على العامِّ؛ كقولِنا: (رَكِبَ النّاس دوابَّهُم) أي: ركبَ كلُّ واحدٍ منهُم دابّتَهُ، فيَرى كلُّ واحدٍ منهم عملَهُ وجزاءَه، حتّى يكونَ على بصيرةٍ من حِسابه؛ سواءٌ أكان نعيمًا أم عَذابًا، ففيه كنايةٌ عن عدمِ الظُّلم. بقي أنَّ نسبةَ الأعمال إليهم دالٌّ على أنّ لهُم عمَلًا قدِ اكْتَسَبوهُ، فنُسِبَ إليهم بالإضافةِ فتثبُتُ عليهم المَسؤوليَّة.

دلالةُ المَجاز المُرسَل في ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾:

تسميةُ الجزاءِ عمَلًا لكونِهِ عَدْلًا

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بلفظِ (الأعمالِ) في قولِهِ تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ للدِّلالة على الجَزاءِ؛ فيكونُ مَجازًا مُرسَلًا من قبيلِ ذكرِ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 208.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 395.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 237.

السَّبب وإرادةِ المُسبَّب[1]، قال الرّازيّ: "ليَرَوْا جَزاءَ أعْمالِهِمْ، وهوَ الجَنَّةُ أوِ النّارُ، وإنَّما أوْقَعَ اسْمَ العَمَلِ عَلى الجَزاءِ؛ لأنَّهُ الجَزاءُ الوِفاقُ، فكَأنَّهُ نَفْسُ العَمَلِ، بَلِ المَجازُ في ذلِكَ أدْخَلُ مِنَ الحَقيقَةِ"[2]، فالغرضُ مِن تسميةِ الشَّيءِ باسم سَبَبِهِ أنَّ الجزاءَ موافِقٌ للعملِ دونَ زيادةٍ أوْ نُقصان، وفي ذلك كنايةٌ عنِ العدلِ الإلهيِّ المُطلَق، وأنَّ الجزاءَ مبنيٌّ على العملِ، ولذا فرّعَ قولَه الآتي: ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ إلى آخرِهِ.

دلالةُ اللَّفِّ والنَّشرِ المُرتَّب:

عُبِّرَ بأسلوبِ اللَّفِّ والنَّشر المرتَّب في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾... ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، ثمَّ قالَ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ فإنَّ صدورَ النّاس أشتاتًا منَ القبور صورةٌ مُتناسِقةٌ معَ خروجِ الأثقالِ منَ الأرض، ورؤيةَ النّاسِ أعمالَهُم صورةٌ أُخرى مُتناسِقةٌ معَ تحديثِ الأرضِ بالأخبار ممّا جَرَى عليها مِن أعمالِ الخَير والشَّرِّ.

التّناسُقُ والإحكامُ دالٌّ على جمالِ إعجازِ الكَلام

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصُّدور والخروج والانصراف:

مادَّةُ (صدر) يدلُّ على خلافِ الوِرْد، يقالُ: صدَرَ عنِ الماءِ وصَدَرَ عنِ البلاد؛ إذا كانَ وردَها ثمّ شَخَصَ عنها[3]، فهو ما يُقابلُ الوُرودَ، والنّظَرُ في الوُرود إلى جهةِ الصَّيرورةِ إلى مُحيط، كما أنّ الصُّدورَ ناظِرٌ إلى جهةِ صيرورةٍ إلى خارجِ مُحيطٍ مُعيّن. وأمّا الدُّخولُ فهو ضدُّ الخروج، ويُلاحَظُ فيهما الورودُ إلى محيطٍ يَحويهِ ويُحيطُ به. والخروجُ هو البروزُ عنه، والوُرودُ مقدَّمٌ على الدُّخول[4]. وأمّا صَرَفَ؛ فمُعظَمُ بابِهِ يدلُّ على رجوعِ الشَّيء، ومِن ذلك: صرفتُ القومَ صَرْفًا

الصُّدورُ مؤخَّرٌ عنِ الخُروج، والانصرافُ رجوعٌ بعدَ إرادةِ الدُّخول

(1) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي: 8/ 388.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 256.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صدر).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 6/ 212.

وانصَرَفوا؛ إذا رجعْتَهم فرَجَعوا[1]، فهو ردُّ شيءٍ مِن جهةٍ إلى جهةٍ أخرى أوْ تحويلُهُ إلى حالٍ أخرى[2]، فالخُروجُ مقدَّمٌ على الصُّدور، ولذلك نقولُ: خَرَجَ فصَدَرَ. وأمّا انصرَفَ فإنّه همٌّ بالدُّخول ثمَّ انصرافٌ عنهُ. ولذا عبّرَ النَّظمُ الكريم بفعلِ الصُّدور في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ دونَ الخُروج والانصراف؛ لأنَّهم يَبرُزونَ من مُحيطٍ مُظلِمٍ ويُصبحونَ خارِجَهُ.

الأشتات والمُتفرّقونَ والمُتباعِدونَ:

كلُّ تشتُّتٍ تفرُّقٌ من غيرِ عكسٍ كُلّيٍّ والتَّباعُدُ لا يدلُّ على الاتّصال المُسبَق

الشّينُ والتّاءُ أصلٌ يدلُّ على تفرُّقٍ وتَزَيُّلٍ، ومِن ذلك: تشتيتُ الشَّيءِ المُتفرِّقِ، تقولُ: شتَّ شَعْبُهم شَتاتًا وشتًّا: تفرَّقَ جمعُهُم، ويقالُ: جاءَ القومُ أشتاتًا[3]، فهو تفرُّقٌ مخصوصٌ وهو تفرُّقُ الأعضاءِ والأجزاءِ كلٌّ منَ الآخَرِ، في مادّيّ أوْ معنويّ. والتَّفرُّقُ أعمُّ مِن أن يكونَ بينَ أجزاءٍ أوْ جُزئينِ أوْ غيرِها، فيقالُ: تفرّقَ زيدٌ وعمرٌو؛ فالتَّفرُّقُ في قِبالِ مُطلَقِ التَّجمُّعِ[4]. كما أنَّ التَّشتُّتَ يدلُّ على كثرةٍ في التَّفرُّقِ؛ ولذا يقال: فِكري مُشتّتٌ أوْ مُتَشتِّتٌ؛ لكثرةِ الأفكارِ الَّتي تَعتمِلُ في ذهنِهِ ولا تجتمعُ على صورةٍ واحدةٍ ورأيٍ واحدٍ، فالعلاقةُ بينَ المُتشتِّتينَ والمُتفرِّقينِ على هذينِ العمومُ والخصوصُ المُطلق، فكلُّ تشتُّتٍ تفرُّقٌ من غيرِ عكسٍ كلّيٍّ. وأمّا المتباعدانِ فلا يلزَمُ أنْ يكونا مُجتمِعَيْنِ، بل قد يحصُلُ التَّباعُدُ بينَ البَعيدَيْنِ، والتَّباعُدُ ضدُّ التَّقارُب، ومِن ثَمَّ عُبِّرَ بـ ﴿أَشْتَاتًا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾؛ لأنّه تفرُّقٌ للنّاس حسبَ مَراتبِهِم ودَرَجاتِهِم ومَنازِلِهم، ومن ثمَّ يكونُ تفرُّقًا كبيرًا ومُتعدِّدًا، فالجنّةُ درجاتٌ والنّارُ دَرَكاتٌ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صرف).
(2) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 6/ 240.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شتت).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 6/ 15.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"